الفصل العاشر

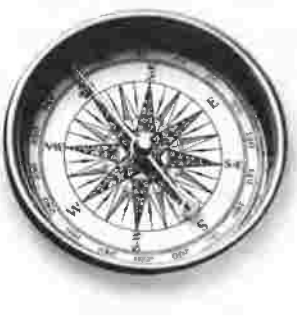

جعل التّمايز قضيّة مقنعة يمكن الدّفاع عنها

«إنّ الضّغط من أجل إتمام موضوعات محدَّدة في السّنة هو العدو الأكبر للفهم».

هوارد جاردنر (*)

سؤال رئيس
• ما العناصر التي يُشترط توافرها حتى يصبح التّمايز قضيّة يمكن الدّفاع عنها؟

أهمية التّحدّي

متى ينبغي أن يكون التّحدّي أوّلًا جزءًا من تعلّم الطّفل؟ إنّ الإجابة عن هذا السّؤال سهلة؛ إذ يبدأ التّحدّي في المنزل الّذي يتعلّم فيه الطّفل أشياء جديدة بصورة متواصلة. ومن ثَمَّ، يتعيَّن استمرار التّحدّي حال التحاقه بالحضانة أو الرّوضة. ويجدر بالمعلِّمين في مختلف الصّفوف والمراحل الالتزام بتعليم كلّ طالب أشياء جديدة في المدرسة، بحيث يحقِّق مكاسب في التّحصيل على نحو دائم.

لا شكّ في أنّ التّحدّي ضروريّ للطلّاب جميعهم، وهو يعود بالفائدة على الطَّالب والمجتمع والدّولة على حدٍّ سواء، علمًا بأنّ التّحدي لا يعني اتباع المحتوى المخصوص

---

* Howard Gardner هوارد جاردنر خبير علم نفس النّموّ، وصاحب نظرية الذّكاءات المتعددة multipple intelligence theory التي تحدى فيها النظرية التقليدية لمفهوم الذكاء ومفهوم العامل العام. حصل على أوسمة وجوائز تقدير كثيرة، وله أكثر من عشرين كتابًا عن العقل، وكيفية التَّعلُّم والسّلوك، من أشهرها كتاب (إطارات العقول Frames of Mind) المُراجع.

بمستوى الصّفّ إذا كان بمقدور الطّالب الوفاء بالمعايير المطلوبة عن طريق تقييم مسبق؛ وهذه إشارة لتمايز المنهاج الدّراسيّ.

وهنا أيضًا تكمن المعضلة الحقيقيّة، وهي أنّ ما يمثّل تحديًّا عند طالب معيّن يمكن أن يكون بالغ الصعوبة أو السّهولة عند طلّاب آخرين، وهذا السّبب هو الذي يحتّم على المعلّمين كافة إتقان إستراتيجيّات التّمايز. من جانب آخر، ينبغي للمعلّمين أن يتذكّروا أنّنا لا نبدأ التّمايز دفعة واحدة، إذا كنا لم نعتد استخدام إستراتيجيّات التّمايز من قبل (انظر الفصل الثّالث عشر). إنّ الطّريقة المثلى لعلاج ذلك هي البَدء بواحدة من إستراتيجيّات التّمايز، ثمّ بناء ذخيرة احتياطيّة من الإستراتيجيّات. صحيح أنّ هذا يستغرق وقتًا، لكنّه ضروريّ لنجاح العمليّة برُمّتها.

أساسيّات التّمايز

حين يبدأ المعلّم بالتّمايز، فإنّ نقطة البداية هي التّخطيط للتّعليم. والسّؤال الأوّل الذي يجب الإجابة عنه هو: ما الذي ترغب في أن يعرفه طلّاب الصّفّ كافة، و/ أو يصبحوا قادرين على فعله؟ لا ريب في أنّ هذا السّؤال يُفضي إلى تقييم مسبق، ويطرح سؤالًا ثانيًا هو: مَنْ يعرف حقًّا المعلومات و/ أو يمكنه أن يطبّق التّمايز؟ إنّ التّمايز الّذي يمكن الدّفاع عنه لا يحدث إلّا بعد قيام المعلّم بالتّخطيط للدّرس، ومن ثَمَّ التّقييم القبليّ للمهارات أو الأفكار الواردة فيه. أمّا السّؤال الثّالث الذي يتطلّب إجابة شافية فهو: ما الذي ينبغي تخطيطه للطّالب أو الطلّاب الّذين يعرفون حقًّا (أو يستطيعون أداء) ما هو مخطّط؟

من دون بيانات التّقييم القبليّ، فإنّ خبرات التّعلُّم المختلفة لا تعني شيئًا سوى أنها مختلفة. إنّ مجرد تقديم اختيار لخبرات التّعلُّم من دون مطابقته بأسلوب التّعلُّم، والاستعداد، أو الاهتمامات، يمثّل اختلافًا في حدّ ذاته، لكنّه يفتقر إلى التّمايز المقنع القابل للصّمود الّذي يمكن الدّفاع عنه.

إنّ المعلومات المستقاة من التّقييم القبليّ تخبر المعلّم، وهو يطابق خبرات التّعلُّم، بما يعرفه الطّالب أو الطلّاب تمامًا. ويُعَدُّ التّقييم القبليّ هذا لازمًا لضمان تعلّم كلّ طالب

المهـارات والمفاهيم وَفقًا لمستوى صعوبـة مناسب. ولمّا كان الفرد لا يتعلّم ما يعرفه فعلًا، فمـن غيـر المناسب للمُعلِّم أيضًـا أن يتوقع من الطـلّاب تعلّم ما يفـوق قدراتهم في الوقت الحاليّ. إن التّمايز يشبه إلى حدّ ما حكاية جولديلوكس والدِّببة الثّلاثة [*] Goldilocks and the three bears؛ فمهـام التَّعلُّم لا يمكن أن تكون صعبة جدًّا أو بالغة السّهولة، بل لا بُدّ من أن تكون مناسبة وصحيحة!

ربّمـا يكون السّبب الرّئيس لعدم تخطيط المعلِّمين لمجموعة واسعة من الطلّاب، أنّهم لا يدركـون مدى الحاجة إلى منهـاج متمايز للطلّاب الموهوبين؛ فهم يعتقـدون أنّ الأطفال الموهوبين(قـادرون على الاهتمام بأنفسهـم) وتدبُّر أمرهم. وهناك سبب آخر يتمثَّل في أنّ إستراتيجيّات التّمايز تلك لم تصبح بعدُ جزءًا طبيعيًّا من أسلوب التّدريس المعتاد المطبّق. فطريقة التّدريس المطبّقة مهمّة جدًّا، حيث إنّ التّمايز سيظلّ مستمرًّا فقط في حال ملاءمته طريقـة التّدريـس الّتي يتّبعهـا المعلِّم يوميًّـا. أمّا السّبـب الثّالث لعدم التّمايـز فهو تشديد المدارس علـى مستوى الكفاية، وتكمن المشكلة في جعل الكفايـة هدفًا، في أنّ الحدّ الأدنى مـن الكفايات أصبـح الحدّ الأقصى من التّوقّعـات. يوضّح الرّسـم السّاخر (الكاريكاتوريّ) (شكل 5) مشكلة طالب يحاول جاهدًا الرّكض، ولكن هيهات؛ إنّه مقيَّد إلى عمود الكفاية.

عمومًـا، تبدأ الإستراتيجيّات الرّئيسة للتّمايـز التّعليميّ بإستراتيجيّات توجيه الأسئلة، وكتابة الواجبات، وخيارات القراءة. ويُعَدّ إدراكُ وجود اختلاف بين طلّاب الصّفّ من حيث مستوى الاستعداد، والاهتمام، والمهارات المخصوصة بهم، الخطوةَ الأولى لمعرفة سبب أنّ التّمايز يُعدُّ ضروريًّا.

---

* جولديلوكس والدِّببة الثّلاثـة Goldilocks and the three bears قصة إنجليزيّة عن طفلة كانت تتنزه في الغابة، فوجدت منـزلًا فطرقـت الباب ثم دخلته عندما لم يجبها أحد. على طاولة المطبخ، وجدت ثلاثة صحون مليئة بالعصيدة، فأخذت تتذوّق من كلّ واحد منها؛ فوجدت الصّحن الأوّل ساخنًا جدًّا، في حين كان الثّاني باردًا جدًّا، أما الثّالث فكان معتدل الحرارة، فأكلت ما فيه. بعدئذٍ، وجدت ثلاثة كراسيّ وثلاثة أسرّة، فأخذت تجرّب كلًّا منها، ونامت على أحد الأسرة إلى أن جاء الدِّببة الثّلاثة فوجدوهـا نائمـة فأخذوا يطرحـون أسئلة ويبحثون عن الجواب، فصعـدوا إلى الدور الثاني، والمغزى مـن القصة هو أن يطرح الطالب أسئلة بسيطة ويجرّب الخيارات إلى أن يكتشف ما هو الصحيح.- المُراجع

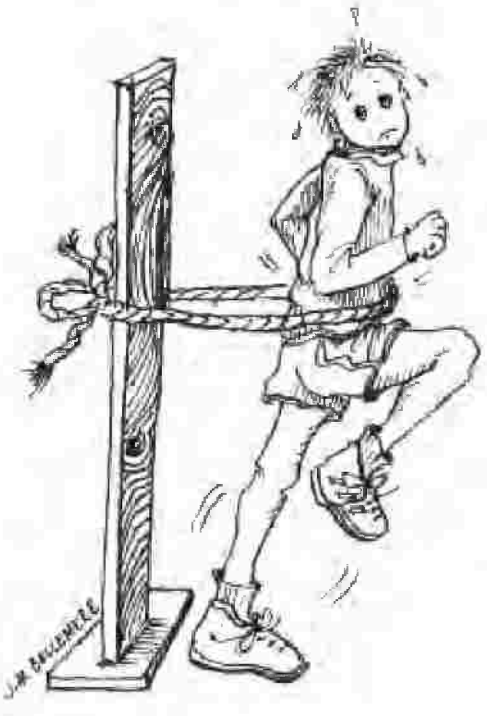

شكل 5: طالب مربوط إلى عمود الكفاية

صيغة (PLAN)

هناك صيغة بسيطة للتّمايز تُدعى (PLAN). وهي مؤلفة من الأحرف الأولى لكلّ من التّقييم القبليّ – Preassessment، وخبرات التّعلُّم Learning Experiences، والتّقييم Assessment، واستخدام بيانات التّقييم في تخطيط خبرات التّعلُّم اللّاحقة Next Learning Experience الواردة في شكل 6. ويناسب هذا المنحى المربّين الذين يبدؤون العمل بالتّدريس المتمايز.

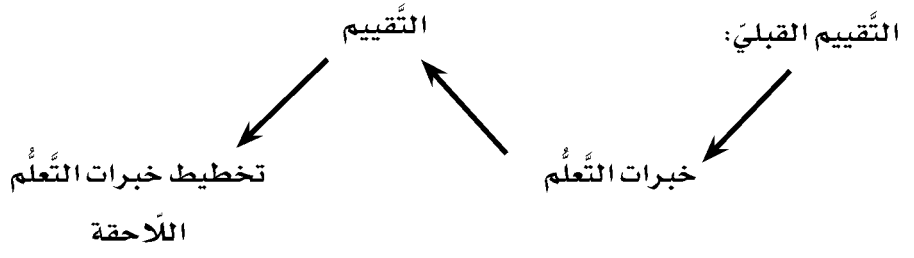

شكل 6: نمـوذج PLAN مأخـوذ مـن The PLAN Model by J. L. Roberts (n.d.), unpublished manuscript, The Center for Gifted Education, Western Kentucky University, Bowling Green, KY. أعيد نشره بإذن.

مبادئ الصّفّ المتمايز

ينبغي أن تكـون لدينا توقّعات مناسبة للصّف؛ لكي يحدث التّمايز وَفقًا لنظام مستمرّ، وقد اقترح روبرتس وإنمان (Roberts & Inman, 2009b) المبادئ الآتية تمهيدًا للتّطبيق:

- الصّفّ المتمايز يحترم التّنوّع.
- الصّفّ المتمايز يحافظ على التّوقّعات العالية.
- الصّفّ المتمايز يشجّع الانفتاح.

يجـب استخدام البيانات في اتخـاذ قرارات تعليميّة متمايزة. فـي الجزء الآتي، تقدّم جـان لانهـام Jan W. Lanham معلومـات مهمة عن كيفيـة استخدام البيانـات في اتخاذ قرارات مقنعة بشأن التّمايز.

أسرار البقاء: استخدام البيانات مفتاحًا للتّمايز الفاعل

جان لانهام (*)

تأخذ القرارات التّعليميّة موقعًا متوسطًا بين المهارات والمفاهيم المحدَّدة بوصفها أهدافًا لتعلّم الطَّالب، ومدى استعداده، واحتياجات التَّعلُّم. ومثلما لا يمكننا تعليم الطلّاب ما هم غيـر مستعدين لتعلّمه، فإنّنا لا نستطيع تعليمهـم الأشياء التي يعرفونها من قبل. ومع ذلك، يستغرق كثير من المعلِّمين أوقاتًا طويلة يحاولون فيها فعل ذلك فقط! يُعَدّ استخدام بيانات الأداء أمـرًا لازمًا لتصميم تمايز فاعل؛ إذ تمثِّل هـذه البيانات مقياسًا لمستوى الطَّالب من حيث الإتقـان، وتشمل هذه البيانات المعلومات النّظريّة، وعينات العمل، ومستوى الأداء في الاختبـارات التي يعدّها المعلِّم، وأيّ بيانات تقييميّـة ذات صلة، والبيانات المحدَّدة للتّقييم القبلـيّ. بعد ذلك، يمكن استخدام هذه البيانات لدعم القرارات الأساسيّة المتعلّقة بتجميع القدرات وسرعة تدريس المحتوى أو الوَحدة، إضافة إلى القرارات التي تتعلّق بتقديم تعليم حُدِّد وَفقًا لنظام أسبوعيّ ويوميّ.

يتناول الاستخدام الفاعل للبيانات أهدافًا واضحة، تعالج ثلاثة أسئلة رئيسة، هي:

- ما الّذي أريد أن يعرفه الطلّاب؟ ما الّذي يمكنهم عمله؟ (المحتوى والمهارات).
- مـا الأنشطـة التي ينبغي تقديمهـا لاكتشاف هذه المهـارات وممارستهـا؟ (الممارسة الموجّهة والمستقلّة).
- ما معايير الإتقان الّتي تشير إلى إنجاز الطَّالب الهدفَ؟ (المُنتج أو الأداء).

إنّ إجابة كلٍّ من هذه الأسئلة بوضوح في التّخطيط، تجعل التّمايز هادفًا ومطابقًا لاحتياجات الطـلّاب واستعداداتهم. مثلًا، قد يتمثَّل الهدف الرّئيس في إظهار الطلّاب تفهُّمًا لخطوات

---

* عملـتْ جان لانهـام في التّعليم لأكثر من اثنين وثلاثين عامًا، وكانتْ من بين ثلاثة معلّمين اختيروا عبر الولايات المتّحدة للتّكريم في قاعة الشّهرة للمعلّمين الوطنيّين The National Teachers Hall of Fame في جامعة كنتاكي. وقد أُنشئت هذه القاعة اعترافًـا بالـدّور الـذي يمارسه التّربويّـون في رعاية اليافعين، وبالأثـر الإيجابيّ للتّعليـم في اقتصاديات البـلاد. وهي مؤسسة أمريكية غير ربحيّة، أُنشئت عام 1989 بهدف تكريم معلّمي المدارس المميّزين، وجذب اهتمام الأفراد لمهنة التّدريس من خلال المتحـف التّابع لها، ومركـز المصادر، وبرنامج التّكريم المُتّبع. يُقام البرنامج في شهر يونيـو من كلّ عام؛ لاختيار خمسة معلمين مميّزين من عموم الولايات المتحدة، وتعليق صورهم في القاعة - المُراجع

دورة المياه، وذلك بتعريف المصطلحات جميعها، ووضع كلٍّ منها -بصورة صحيحة- في رسم بيانيّ واضح يُعِدّونه.

إنّ تحديد أهداف المساءلة الفرديّة ومستوياتها، يحفّز المعلّمين إلى طرح السّؤالين الآتيين: مَنِ الطّالب الذي يحتاج إلى دعم إضافيّ (وإلى أيِّ نوع من الدّعم) لإكمال المهمة بنجاح؟ أيّ الطلّاب يمكنه حقًّا أداء المهمة على النّحو المطلوب؟ يمكن الإجابة عن هذين السّؤالين باستخدام البيانات، الّتي يُستفاد منها أيضًا في صقل التّعليم لضمان التّقدّم المستمرّ.

أمّا الطلّاب الّذين يحتاجون إلى دعم إضافيّ، فإنّ التّعريفات المخصوصة بخطوات دورة المياه يمكن تدوينها على مُلصقات المِلفّات، أو تضمينها بنك الكلمات، أو إعداد رسم بيانيّ تخطيطيّ يقوم فيه الطلّاب فقط بتقديم تفاصيل إضافيّة، وإضافة المصطلحات.

وإذا تذكّرنا أنّ الهدف هو تيسير قدرة الطلّاب على تحديد المصطلحات واستخدامها؛ فإن على التّمايز أن يضبط أسلوب ممارسة الطلّاب لتعلّمهم.

بناءً على بيانات التّقييم القبليّ، يتعيّن على المعلّم التّفكير بشأن الطلّاب الّذين يمكنهم أداء المهمة المحدَّدة فعلًا بالطّريقة نفسها؛ لضمان تعلّم جديد. عادة ما يُسأل الطلّاب في أكثر المستويات تقدُّمًا عن المهارات والمفاهيم. مثلًا، قد يطلب إلى الطلّاب الذين يستطيعون حقًّا تحديد المصطلحات العلميّة وتتبّعها في دورة المياه، استخدام مهارتي التّركيب والتّحليل، عن طريق بيان أهمية كلّ مرحلة من مراحل دورة المياه للموطن الحيويّ الّذي أوضحوه، أو ربّما يُطلَبُ إليهم المقارنة بين المراحل في المواسم المختلفة، أو بيان تأثير البشر في كلّ مرحلة من مراحل الدّورة. إنّ ذلك كلّه يهدف إلى توفير تطبيقات للأفكار وَفقًا لمستوى أعلى يعكس تعلّمًا جديدًا للطلّاب.

الخلاصة

يستحق كلّ طالب أن يحرز تقدّمًا مستمرّا، مُحقِّقًا في الأقلّ مكسب تحصيل شهريّ لشهر واحد في المدرسة. ولذلك، يهدف التّمايز إلى جعل التّقدّم المستمرّ ممكنًا، بشرط المواءمة بين الخطوات المتنوّعة للتعلّم، والاهتمامات، والإمكانات الأكاديميّة لمجموعة من الطلّاب، أو حتى داخل أحد صفوف الموهوبين.

إن أفضلَ طريقة لتنظيم نقاش عن التّمايز في اجتماع هيئة التّدريس، أو أحد مراكز التَّعلُّم المهنيّ، أو مع مجموعة من أولياء الأمور- قراءةُ كتاب (حديقة السيدة سبايتزر) Mrs. Spitzer's Garden[*] ثمّ مناقشته بعد ذلك. ومثلما تُفرِّق السّيدة سبايتزر بين النباتات في حديقتها، فإنّ من السّهل إيجاد ارتباطات للقيام بذلك داخل الصّفّ.

نصائح من أجل البقاء:

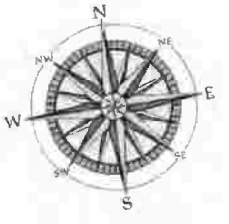

- ينبغي للطلّاب الّذين يتعلّمون بطريقة مختلفة أن يدرسوا بطريقة مختلفة أيضًا؛ ليتمكّنوا من إحراز تقدّم متواصل.
- يحتاج الطلّاب كافة إلى أن يتعلّموا وَفقًا لنظامٍ عماده الاستمراريّة.

فالطلّاب في سنّ العاشرة، مثلًا، لا يُظهرون الاستعداد والمستوى نفسيهما عند دراسة الرّياضيّات، أو الموسيقا، أو الكتابة، أو الأدب، أو كرة القدم، ضمن الجدول الزّمنيّ نفسه.

أضف إلى ذلك أنّ خبرات التَّعلُّم المختلفة المتعلّقة بالمفاهيم أو المهارات نفسها يجب أن تتطابق مع الاستعداد، وأفضليات التَّعلُّم، والاهتمامات؛ لضمان أن يُحرِز الطلّاب كافة تقدّمًا مستمرًّا.

---

* قصة رمزية عن الأطفال، من تأليف إيديث باتو Edith Pattou. تحكي القصة عن السيدة سبايتزر، المعلِّمة الحكيمة العاقلة التي تعرف أشياء كثيرة؛ فهي تعرف عن الحدائق والأطفال. إنها تعرف كيف يتشابهون وكيف يزدهرون إذا ما اعتنينا بهم بحبّ. القصة بسيطة: في نهاية فصل الصّيف، تأتي مديرة المدرسة إلى المعلِّمة سبايتزر وتعطيها علبة بذور. ومع أنّ الموسم لم يكن مناسبًا، فإنّ المعلِّمة تأخذ البذور، وتزرعها، وترويها وتعتني بها حتى تنبت وتكبر وتزهر. القصة رسالة حبّ لمعلمي العالم، ومن ورائهم كلّ الّذين يهتمون بالأطفال- المُراجع

حقيبة أدوات المعلم للبقاء في الميدان

- موضوعات ساخنة: التّمايز بين المناهج الدّراسيّة والتّعليم

Hot Topic: Differentiation of Curriculum and Instruction

http://www.nagc.org/index2. aspx?id=978:

تتضمّن هذه الصّفحة من الموقع الإلكترونيّ للجمعيّة الوطنيّة للأطفال الموهوبين (NAGC) نظرة شاملة، توضّح أسباب استخدام التّمايز، إلى جانب قائمة من الرّوابط لبعض المصادر ذات العلاقة بهذا الموضوع.

- تعليم الأطفال الموهوبين في غرفة الصّفّ العاديّة الحاليّة

Teaching Gifted Kids in Today's Regular Classroom

http://www.nagc.org/index.aspx?id=660:

سوزان واينبرينر Susan Winebrenner، كتبت هذه المقالة التي تناقش إرشادات التّمايز التي يمكن للمُعلِّم استخدامها مع طلّابه الموهوبين في صفوف التّعليم العامّة.

Pattou, E. (2001). Mrs. Spitzer's garden. New York, NY: Harcourt.

- روبرتس وإنمان (Roberts, J. L., & Inman, T. F., 2009). إستراتيجيّات التّمايز التّعليميّ: الممارسات المثلى للصّفّ (الإصدار الثّاني). Strategies for differentiating instruction: Best practices for the classroom (2nd ed.). Waco, TX: Prufrock Press.

- سوزان واينبرينر (Winebrenner, S., 2001). تعليم الأطفال الموهوبين في الصّفّ المنتظم: الإستراتيجيّات والأساليب التي يمكن لكلّ مُعلِّم استخدامها في تلبية احتياجات الموهوبين الأكاديميّة: Teaching gifted kids in the regular classroom: Strategies and techniques every teacher can use to meet the academic needs of the gifted and talented (Rev. ed.). Minneapolis, MN: Free Spirit.